العمارة الإسلامية من استقراء التراث العمرانى إلى استنباط نظرية للعمران الإسلامى المعاصر

د /سلامة أحمد على

مدرس العمارة والتخطيط العمرانى بقسم التخطيط العمرانى، كلية الهندسة، جامعة الأزهر

الملخص:

تمثل الحضارة الإسلامية أحد أهم مراحل الإنجاز الحضارى Civilization Achievement التى أثرت حركة الإنسان على الأرض، ويحتل العمران والعمارة الإسلامية وعاءها المادى وأحد روافدها مكانة متميزة بين مختلف الأنماط العمرانية والمعمارية التى عرفتها الحضارة البشرية عبر الزمان والمكان . حيث امتدت أنماط التراث العمرانى الإسلامى عبر مختلف العصور الإسلامية من جاكرتا إندونيسيا إلى طنجة المغرب ومن غانه إفريقية إلى فرغانه آسيا، فى تكوينات عمرانية تخطيطية وتنويعات وتشكيلات معمارية متفردة ، وبالرغم من تعدد العصور الإسلامية واختلافها وتعدد الجوانب الحضارية لها، إلا أنها قدمت نموذجا عمرانيا متكاملا) منهج ونظرية وتشريع (عبر بصدق عن شخصية وخصائص المجتمع الإسلامى وغايات ومقاصد نموذجه الثقافى عقيدة وشريعة وأخلاقاً التى كانت وراء الحركة المادية الإبداعية.

ويجد المخطط والمعمارى المسلم المعاصر نفسه أمام معضلة حضارية/عمرانية، فهو من جهة يقف منبهرا بالنموذج التراثى للعمران الإسلامى وإبداعه الفنى والجمالى والهندسى والبنائى . ومن جهة يقف حائرا أمام النموذج العمرانى الغربى المعاصر بمناهجه ونظرياته وتشريعاته المعمارية والتخطيطية وتقنياته وطرق ومواد البناء، الذى أحدث تغييرات حضارية وعمرانية دراماتيكية تهدد استدامة المجتمعات الإسلامية ومواردها وثرواتها الطبيعية والبشرية ، ويقف عاجزا من جهة أخرى عن صياغة نظرية عمرانية معمارية وتخطيطية تكون منطلقا فكريا ومصدر إلهام يسد الفجوة بين الماضى والحاضر، ويصل الإنقطاع الفكرى والإبداعى فى الفكر العمرانى الإسلامى ويساهم فى بناء نموذج العمران الإسلامى المعاصر (منهجا ونظرية وتشريعا)

وتتمحور مشكلة البحث حول غياب غايات الفلسفة والفكر الإسلامى عن تشكيل وعى ووجدان وتفكير المعمارى والمخطط المسلم المعاصر، بمعنى غياب النظرية المعمارية التى تمثل المنطلق الفكرى الإسلامى المحفز لعمليات التصميم والتخطيط الإبداعى، الأمر الذى انعكس على إنتاجه المعمارى والتخطيطى ولم يعد يعبر عن المجتمع الإسلامى المعاصر، ومن ثم يهدف البحث إلى استنباط نظرية للعمران الإسلامى المعاصر تنبع من استقراء متغيرات التراث العمرانى ومن فقه ثوابت النموذج الثقافى الإسلامى، وتقدم مسارا فكريا معاصرا مستمدا من محاولة فهم مكنونات ومضامين التكوينات التخطيطية والمعمارية ومرتكزا على إطار معرفى لقيم ومقاصد الشريعة الإسلامية .

ويرتكز البحث على المنهج التاريخى الوصفى لنشأة وتطور التراث العمرانى الإسلامى عبر العصور المختلفة، وعلى المنهج الاستقرائى التحليلى لمجموعة منتقاة من الأنماط العمرانية المعمارية والتخطيطية لمعرفة الأسس المعمارية والتخطيطية لها وعلى أسرار تشكيلاتها ونتاجاتها الإبداعية ، ومن ثم استخدام المنهج الاستنباطى لكشف واستخراج الغايات والمقاصد العمرانية الكامنة التى يمكن أن تشكل نظرية عمرانية معاصرة يرتكز عليها المعمارى والمخطط المسلم المعاصر لحل مشكلات وتحديات العولمة ليسهم فى صياغة ملامح عالم أفضل بيئة ومجتمع وعمران .

الكلمات الافتتاحية : مقاصد العمران الإسلامى – نظرية للعمران المعاصر – التراث العمرانى الإسلامى.

DOI:10.12816/0036521

ISLAMIC ARCHITECTURE FROM INDUCTING THE URBAN HERITAGE TO DEDUCT A THEORY FOR CONTEMPORARY ISLAMIC URBANISM

Dr. SALAMA AHMED ALI
Urban Planning Dept. – Faculty of Engineering– Al –Azhar University

Abstract:
Islamic civilization represents one of the most important civilization achievements phases that enriched human movement on earth, the Islamic architecture and urbanism as its physical container and one of its tributaries occupies a privileged position among the various urban and architectural styles and patterns known to human civilization across time and space. The Islamic architectural heritage patterns spread through various Islamic eras from Jakarta-Indonesia to Tangier-Morocco and from Ghana- Africa to Ferghana-Asia, in a unique urban planning compositions and variations of architectural forms. And in spite of the multiplicity of Islamic eras and its differentiation and multi-cultural aspects, it provided an integrated urban model (methodology, theory and legislation) reflected honestly the personality and characteristics of the Muslim community and the goals and purposes of the cultural model doctrine, law and ethics, which was behind the creative physical movement.

The contemporary Muslim planner and architect finds himself in front of a civilized/urban dilemma, one hand, he stands impressed by the heritage of the Islamic Urban model and its artistic,aesthetic,engineering and constructive creativity. On the other he stands bewildered in front of the contemporary western urban model and its planning and architectural methodologies,theoriesand legislations,building technologies,methods and materials,which cause dramatic urban and cultural changes threaten the sustainability of the Islamic communities and its human and natural resources andfortunes. And it stands on the other hand,unable to formulating an urban theory for architecture and planning, be an intellectually springboard and a source of inspiration filling the gap between past and present, and connecting the intellectual and creative discontinuation in the Islamic urban thought and contribute in constructingthe Islamic contemporary urban model (methodology, theory and legislation).

The research problem revolves around the absence of purposes of Islamic philosophy and thought from the formation of the awareness,conscience and thinkingof the contemporary Muslim architectand planner,or in another way the absence of the architectural theory, which represents the Islamic intellectual springboard which catalyst the creative design and planning processes, the way it reflected upon his architectural and planning production no longer express the contemporary Islamic society.And then the research aims to deduct a theory for contemporary Islamic urbanism, originates from the induction of the Architectural Heritage variables and the jurisprudenceof the Islamic Cultural model constants, and provides a contemporary intellectually paradigm obtained from a trial to understand the mysteries and contents of the Islamic planning and architectural formations based on a framework of Knowledge of values and purposes of Islamic law (MQASSED ASHAREEAH).

The research based on the historical descriptive methodology of the origins and evolution of urban Islamic heritage across different ages, and on the inductive analytical methodology for eclectic range of urban architectural and planning to figure out the architectural and planning principals of her and the secrets of its formations and creative results, and then use deductive approach to detect and extract the goals and objectives of urban potential that can be that constitute the theory underlying the urban contemporary architecture contemporary Muslim and planned to resolve the problems and challenges of globalization and to contribute to the formulation of the features of a the better world;environment,community and urbanism.

key words: The Purposes(MQASSED) of the Islamic Urbanism –The Theory forContemporary Urbanism - Islamic Architectural Heritage.

أهداف البحث: ومن ثم يهدف البحث إلى استنباط نظرية للعمران الإسلامى المعاصر تنبع من استقراء متغيرات التراث العمرانى ومن فقه ثوابت النموذج الثقافى الإسلامى، وتقدم مسارا فكريا معاصرا مستمدا من محاولة فهم مكنونات ومضامين التكوينات التخطيطية والمعمارية، ومرتكزا على إطار معرفى لقيم ومقاصد الشريعة الإسلامية.

مناهج البحث: ويرتكز البحث على المنهج التاريخى الوصفى لنشأة وتطور التراث العمرانى الإسلامى عبر العصور المختلفة، وعلى المنهج الاستقرائى التحليلى لمجموعة منتقاة من الأنماط العمرانية المعمارية والتخطيطية لمعرفة الأسس المعمارية والتخطيطية لها وعلى أسرار تشكيلاتها ونتاجاتها الإبداعية، ومن ثم استخدام المنهج الاستنباطى لكشف واستخراج الغايات والمقاصد العمرانية الكامنة التى يمكن أن تشكل نظرية عمرانية معاصرة يرتكز عليها المعمارى والمخطط المسلم المعاصر لحل مشكلات وتحديات العولمة وليسهم فى صياغة ملامح عالم أفضل بيئة ومجتمع وعمران .

عناصر البحث: ويتكون البحث من ثلاثة استقراءات تاريخية وتنظيرية واستنباط فكرى تنظيرى وآخر تطبيقى(النتائج والتوصيات)، الاستقراء الأول عن تاريخ العمران الإسلامى، والاستقراء الثانى عن النظرية المعمارية من المنظور الغربى، والاستقراء الثالث عن النظرية المعمارية فى الفكر الإسلامى. ويأتى الاستنباط الأول والثانى للبحث عن تنظير الباحث للنظرية المعمارية الإسلامية، والاستنباط الثالث بمثابة نتائج وتوصيات البحث عن التطبيقات العملية المطلوبة لتفعيل النظرية فى الواقع العمرانى المعاصر.

الكلمات المفتاحية : مقاصد العمران الإسلامى – نظرية للعمران المعاصر – التراث العمرانى الإسلامى – النظرية الإسلامية للعمران – تاريخ العمارة الإسلامية .

الاستقراء الأول : ظاهرة العمران الإسلامى من رفع القواعد إلى اكتمال النموذج:

العمران الإسلامى عبر الزمان والمكان الممتد من جاكرتا إندونيسيا إلى طنجة المغرب ومن غانة إفريقية إلى فرغانة آسيا (أوزبكستان) فى منطقة هى قلب العالم القديم أو "هلال الإسلام" *(حمدان،1990،ص19)*، يمثل ظاهرة عمرانية غير مسبوقة ليس فقط بما قدمته من تكوينات عمرانية تخطيطية وتنويعات وتشكيلات معمارية متفردة. ولكن وبقدر أهم ما قدمته تلك الظاهرة كنموذجا عمرانيا متكاملا عبر بصدق عن شخصية وخصائص المجتمع الإسلامى وغايات ومقاصد نموذجه الثقافى (عقيدة وشريعة وأخلاق) التى كانت وراء التجربة المادية الإبداعية.

- **العصر النبوى والراشدى وتأسيس جديد للعمارة والعمران (مرجعية الظاهرة العمرانية) :**

يبدأ التاريخ العملى لظاهرة العمران الإسلامى من هجرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة (يثرب) حتى وفاته وقيام أمة المدينة (12 ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة إلى ربيع الأول 11هـ/ من 24 سبتمبر 622 إلى 8 يونيو 632م) (مؤنس،1987،ص32)، حيث اقترن العصر النبوى بالبناء والعمران ورفع قواعد وأسس جديدة لعمران المدينة وعمارتها، حيث بنى النبى المسجد لصلاة المسلمين وفق مخطط غير مسبوق لأماكن العبادة الأخرى كالكنائس والمعابد وعلى خلاف بناء الكعبة، وأصبح نموذجا يحتذى به المسلمون فى تشييد مساجدهم (شافعى،1982،ص3)، بل وضعت الأحاديث النبوية معايير بناء المساجد وعناصرها وأهميتها وموقعها ودورها

المجتمعى كمرجعية للعمران الجديد، وتعددت مساجد المدينة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبلغ عددها تسعة فى خطط المهاجرين (عثمان،1988،ص50). ويوضح شكل رقم1–المسجد النبوى فى العام الأول للهجرة والذى بنيت على نمطه المساجد كمسجد الكوفة والبصرة والفسطاط (المصدر: فريد شافعى، العمارة العربية الإسلامية،1987،). كما

قام المسجد فى العصر النبوى بوظائف كثيرة ، فقد كان إلى جانب كونه مكاناً للصلاة ومدرسة يتعلم فيها المسلمون أمور دينهم ودنياهم، ودارا للفتوى والتشريع، ومحكمة للقضاء والفصل بين المسلمين وإحقاق الحقوق، ومقرا للحكم والشورى وتستقبل فيه الوفود وتجرى فيه المفاوضات والمعاهدات السياسية، وعلاج مرضى وجرحى الحروب، ودار من لادار له ، ومسكناً للفقراء والغرباء (الكعكى،2007،ص29) .

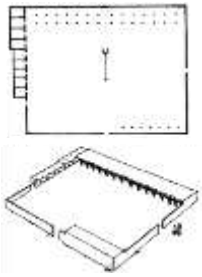

شكل رقم 1– المسجد النبوى فى العام الأول للهجرة. المصدر:
د. فريد شافعى، العمارة العربية الإسلامية (شافعى نقلا عن كريزويل)

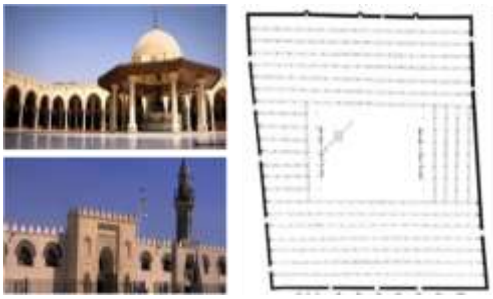

شكل رقم 2– مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط
المصدر: الشبكة العنكبوتية

شكل رقم 3– مسجد الكوفة بالعراق المصدر: الشبكة العنكبوتية

ويُعد أسلوب الرسول وطريقته فى تخطيط المدينة أسلوبا غير مسبوقٍ فى فكر العمران، وبخاصة فيما يتعلق بسياسات التنظيم والتخطيط المكانى للمناطق السكنية (الخطة) وقلب المدينة بمكوناته (المسجد/السوق/البقيع) (على،2002،ص143)، "حيث لم تكن المدينة قبل هجرة الرسول وحدة عمرانية مترابطة بل مجموعة متفرقة من القرى والمنازل مقسمة إلى 9 محلات سكنية منفصلة، وكان لكل قبيلة آطاما حصينة تحتمى بها بلغت 59 أطما" (عثمان،1988،ص52)، فتحولت من عمران النمط القبلى حول حصون ومحلات المنعزلة إلى نمط حضرى تجميعى متجانس.

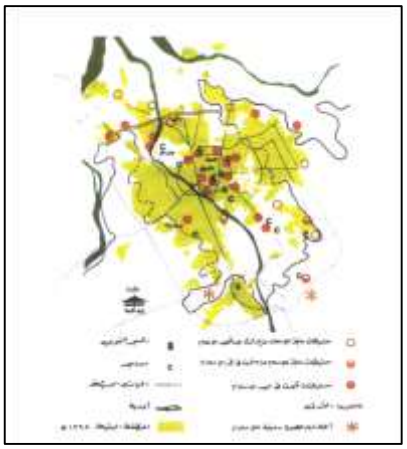

شكل رقم 4– التجمعات العمرانية ليثرب قبل الإسلام المصدر: د. عبد العزيز الكعكى، النسيج العمرانى للمدينة المنورة، 2007م

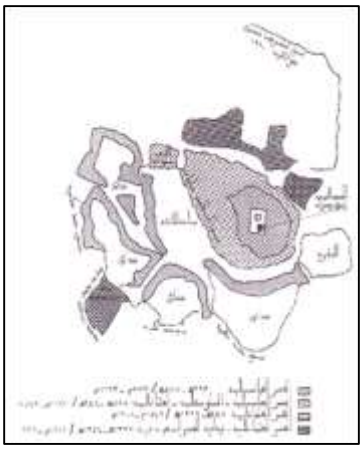

شكل رقم 5 تطور نمو الكتلة العمرانية للمدينة المنورة

المصدر: د. عبد العزيز الكعكى، النسيج العمرانى للمدينة المنورة، 2007م

ولقد كان للمسجد فى العصر النبوى دور كبير فى ظهور نوع مميز من العمران الملتف حول نواة مركزية وهو مالم يكن معروفا قبل الإسلام، حيث كانت التكوينات العمرانية ترتبط بمراكز جذب مصغرة كمصادر منابع المياه أو مناطق الزراعة أو مراكز البيع والشراء، وما إن تقل المياه أو تظهر طرق جديدة للتجارة حتى ينحل النسيج العمرانى وتتلاشى تلك التجمعات بحثا عن مقومات مواقع ومواضع جديدة، فجاء المسجد بمعناه الواسع ليخالف أسس ومحددات التكوينات العمرانية ومؤسسا لنسيج عمرانى جديد يتصف بالديمومة ولايتأثر بمؤثرات الطبيعة والبيئة (الكعكى،2007،ص29) .

وخلال العصر الراشدى (ربيع الأول11هـ – ربيع الأول41هـ/ يونيو632– يونيو661م) (مؤنس،1987،ص32) الذى اتسم بالفتوحات وبناء مرتكزات العمران "الأمصار" أصبح الفكر العمرانى النبوى مرجعية لعمارة وعمران مدن الأمصار كمدينة البصرة 14هـ/635 م، والكوفة 17هـ/638 م، والفسطاط 21هـ/641 م. والتى اتبعت الفكر النبوى فى المدينة المنورة فبدأت بتخطيط بالمسجد الجامع باعتباره نواة المدينة وفى وسطها وبالقرب منه دار الإمارة ثم أقطعت خطط القبائل حول المسجد وخططت الشوارع (عثمان،1988،ص58-49). وبالرغم من تباعد الأمصار إلا أنها تشابهت ليس فقط فى مكوناتها وطريقة ترتيبها وتكوينها مع مرجعية نموذج عمارة وعمران المدينة، بل وأيضا مع طرق ومواد البناء البسيطة المعتادة فبنيت المساجد ودار الإمارة فى الكوفة والبصرة والفسطاط باللبن والطين ثم تطورت بالآجر والجص بعد ذلك (عثمان،1988،ص59-58).

- **عصور الخلافة الإسلامية وتنوع الإبداع ضمن ثوابت مرجعية التأسيس (تنوير الظاهرة العمرانية) :**

إذا كان العصر النبوى والراشدى بمثابة عصر التأسيس والمرجعية لظاهرة العمارة والعمران الإسلامى، فإن عصور الخلافة الإسلامية الأموية والعباسية والعثمانية ليست فقط عصور الانتشار والفتوحات الكبرى ولكنها كانت بمثابة عصور الإبداع والتنوير الإسلامى والتنوع المعمارى والعمرانى ضمن ثوابت ومقومات الوحدة/ النموذج Diversity In Unity . وبدأ العصر الأموى من ربيع الأول41هـ واستمر إلى ذى الحجة132هـ/ من يونيو 661 إلى يوليو

750م، وتبعه العصر العباسى الأول من ربيع الأول132هـ إلى ذى الحجة 232هـ/ من سبتمبر 749 إلى يوليو 847 م، وعند هذا التاريخ تم بناء قاعدة العالم الإسلامى. ثم كان العصر العباسى الثانى ويمتد من 232–334هـ ويعرف بالنفوذ التركى، ثم العصر العباسى الثالث ويعرف بالنفوذ السلجوقى ويمتد من 447–656هـ وينتهى بسقوط بغداد فى يد المغول (مؤنس،1987،ص32، الصلابى،1998،ص82). وخلال هذه الفترة أتم المسلمون فتح المشرق حتى حوض السند وبلاد فرغانة شرقا وإلى ساحل الأطلسى وشمال بلاد الأندلس غربا. وخلالها تم بناء قاعدة العالم الإسلامى أو الجزء العربى منه وبلاد إيران وماوراء النهر وبلاد طخارستان (أفغانستان) وحوض السند وتشمل كذلك جزءا من بلاد الأتراك (مؤنس،1987،ص32) .

لقد اتخذ التوسع الإسلامى (الفتوحات) الذى كون العالم الإسلامى شكل موجات أو قفزات قام بكل منها جنس من الأجناس التى دخلت فى الإسلام ، وكان لها دور فى بناء حضارته وعمرانه. وبين موجات الفتح كان العالم الإسلامى يميل إلى السكون يملأ فيها الفراغات التى خلفها وراءه أثناء حركة المد (مؤنس،1987،ص32). وخلال فترات السكون أخذت طرز العمارة وطرق ومواد البناء وأساليب الفنون والزخارف وطرق تخطيط المدن تنمو وتتبلور وتتنوع معطياتها المعمارية والعمرانية ضمن ثوابت مرجعيات التأسيس النبوى والراشدى، فتوسعت المدن والمساجد وتنوعت مساحاتها وانفصلت عنها كثيرا من الوظائف والخدمات التى كانت تقدمها للمدينة وسكانها وأنشئت لها أبنية تتلاءم واحتياجاتها الجديدة المتزايدة. فظهرت المدارس والكتاتيب والأسبلة والتكايا والوكالات والأسواق والخانقاوات والمسافرخانة والبيمارستانات ودار الحكم ومجالس القضاء والأسوار والأربطة الدفاعية والقلاع، وتوزعت فى النسيج العمرانى للمدن الإسلامية لتغطى مختلف احتياجات السكان وتحقق لهم أسلوب حياة وعمران بالإسلام وللإسلام ومن الإسلام وهكذا أصبحت المدن الإسلامية مركزا للتنوير الإسلامى العلمى والتقنى الحرفى والاجتماعى والاقتصادى. وتوضح الأشكال من6 – 14 أمثلة من عمارة وعمران العصر الأموى والعباسى (المصدر: الشبكة العنكبوتية) .

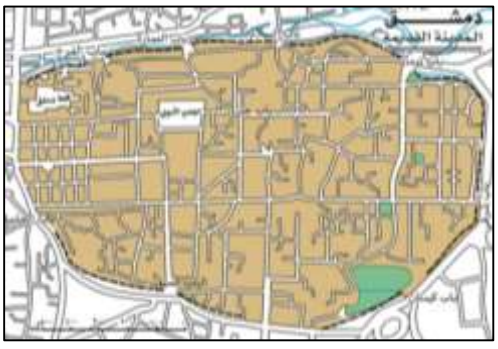

شكل رقم 6– مدينة دمشق القديمة عاصمة الخلافة الأموية المصدر: الشبكة العنكبوتية

شكل رقم 7– مدينة بغداد المنصور عاصمة الخلافة العباسية المصدر: الشبكة العنكبوتية

شكل رقم 8 المسجد الأموى بمدينة دمشق على الطراز الأموى

شكل رقم 9 المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة بالقدس الشريف

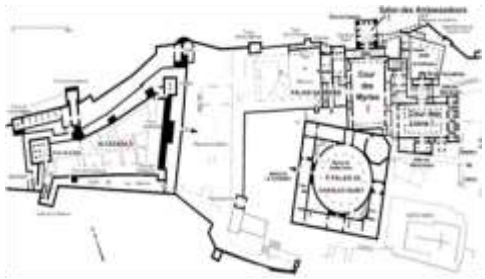

شكل رقم 10– مسقط أفقى لقصر الحمراء بغرناطة الأندلس الطراز الأموى

شكل رقم 11– مسجد عقبة بن نافع بالقيروان تونس الطراز الأموى

شكل رقم12– فناء وقاعة الأسود وبركة المياه بقصر المسجد الكبير بقرطبة ورواق الصلاة الحمراء بالأندلس على الطراز الأموى

شكل رقم 13– ومئذنة الخيرالدا بالأندلس على الطراز الأموى

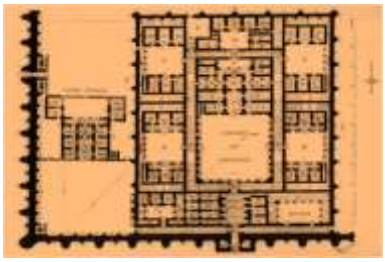

شكل رقم 14– مسجد ومأذنة جامع سامراء بمدينة سر من رأى بالعراق ومسجد أحمد بن طولون بمدينة القطائع على الطراز العباسى

شكل رقم 15– المدرسة المستنصرية ببغداد على الطراز العباسى

الاستقراء الثانى : النظرية المعمارية من منظور تاريخ الفكر والبيئة الغربية :

بدأت النظرية المعمارية فى الغرب من أعماق التاريخ الأوروبى مع مقدمة عابرة لعمارة العصر الفرعونى الذى انتقلت آثاره الحضارية من الشرق إلى الغرب لتؤثر فى الحضارة والعمارة الإغريقية قبل الميلاد بألف عام. ويستمر البعد التاريخى للنظرية المعمارية الغربية عبر العمارة الرومانية (750ق.م–400م)، ثم عبر العمارة فى فجر المسيحية (100– 650م)، ثم انتقلت من الغرب إلى الشرق فى العمارة البيزنطية (330–1453م)، ثم عمارة الرومانيسك (550–1150م) فالعمارة القوطية (1150–1500م)، ثم جاء عصر النهضة والتنوير (1400–1800م) (عبد الجواد،1969). ويستعرض الاستقراء الثانى النظرية المعمارية الغربية من منظورها التاريخى والفكرى الثقافى الغربى، ويوضح شكل رقم 16– شجرة العمارة الغربية وليس بها ذكر للعمارة العربية أو الإسلامية (المصدر: A HISTORY OF ARCHITECTURE ON THE COMPARATIVE METHOD, by Professor BANISTER F. FLETCHER)

شكل رقم 16– شجرة العمارة كما ظهرت فى كتاب فلتشر

- **تاريخ نشأة النظرية المعمارية الغربية (فكر الآباء المؤسسين) :**

يفخر المعماريون الغربيون بأن النظرية المعمارية الغربية قديمة قدم الحضارة الغربية وتضرب بجذورها من العصر الإغريقى وما اتسمت به من إطار فلسفى بجانب بعض المضامين الحسابية والجغرافية المأخوذة من الحضارة المصرية القديمة. وتضمنت النظرية المعمارية والعمرانية الإغريقية دراسات لموضوعات النسب والنسبة الذهبية Golden Ratio والانظمة المعمارية Order وقانون التماثل Symmetry.

وفي الفكر الروماني أخذت النظرية المعمارية والعمرانية الغربية منحى آخر حيث قلت الكتابات الفلسفية وظهرت كتابات الفن والعلم والخبرة العملية، ويعد المعمارى الرومانى Marcus Vitruvius Pallio وكتابه المشهور " الكتب العشرة فى العمارة THE TEN BOOKS ON ARCHITECTURE " الذى عكس فكر فيتروفيس بمختلف جوانبه الفلسفية والنظرية والتطبيقية والإنشائية والتخطيطية. ويوضح الشكل رقم 17– تأثير الرياضيات والنسب وتأثير كتابات فيتروفيس على الأشكال المعمارية لتلك الفترة ومنها كنيسة سان مايكل (المصدر: عبد الباقى إبراهيم، المنظور الإسلامى للنظرية المعمارية). وتضمن الكتاب الذى أهداه فيتروفيس إلى " أغسطس " قيصر روما عدة مبادئ عن العمارة منها نظرية الشكل بنسبه المستوحاة من الطبيعة والمقياس الإنسانى، ومنها استعمال الوحدة القياسية (الموديول الطولى) في جميع أجزاء المبني متخذا جسم الإنسان مثلا لقيم التجانس والتماثل بين الكليات والجزئيات، ومنها كذلك تنظيم العلاقة بين المسقط الأفقى والواجهات، والإعتماد على المنطق في التصميم أو التخطيط، ومنها تنظيم العلاقة بين الأجزاء المصمتة والمفتوحة في المبني، ومنها استغلال واحترام الموقع، واستغلال مقوماته الطبيعية، ومنها أيضا الجانب الإقتصادى المتمثل في التنظيم الأمثل للموقع واستعمال المواد وملاءمة المبني للاحتياجات المطلوبة منه، والإلتزام بالدرجة الصحيحة في الإنفاق (إبراهيم،13،1986–14).

وفي العصور الوسطى تأثر الفكر المعمارى بالفكر الدينى والتصورات والأفكار والعقائد الدينية المسيحية فى أوروبا، حيث شهدت هذه الفترة من تاريخ الغرب ارتباطا قويا بين المجتمع والمدينة ، ومن ثم بين المجتمع والعمارة وقد ظهر ذلك بالاهتمام البالغ ببناء الكنيسة في قلب المدينة وارتباط المعمارى بالكنيسة.

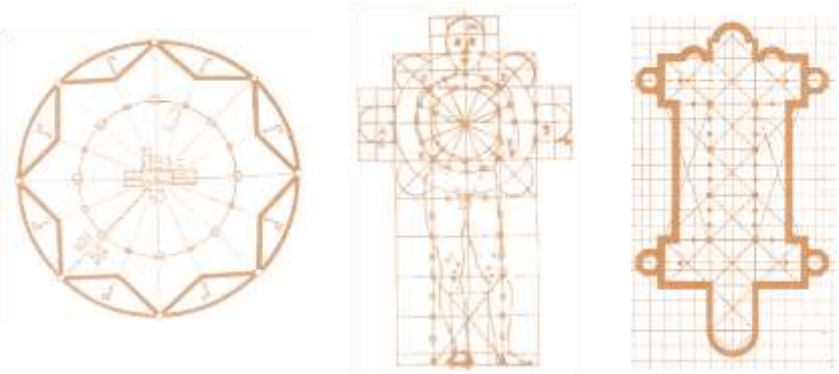

شكل رقم 17– كنيسة سان مايكل (تأثير الرياضيات على التصميم وتأثير كتابات فيتروفيس على الأشكال المعمارية واتخاذ جسم الإنسان أساسا للمديول عند تصميم الكنائس)

شكل رقم18 – أمثلة للمدينة الأوروبية فى العصور الوسطى وتأثرها بتعاليم فيتروفيس

بينما فى عصـــر النهضـــة منذ منتصـــف القرن الخامس عشـــر ارتبطت النظرية المعمارية بفكر فيثاغورث Pythagoras الذي يقول إن الكل رقم وأن الكون يسير بإحكام رقمي ورياضـى. ويعد Leon BattistaAlberti أحد أشـهر معماري إيطاليا ومن أوائل الذين كتبوا في نظريات العمارة في عصـر النهضـة، حيث وضـع البرنامج الكامل للكنيسـة المثالية فى عصـر النهضـة. وقد انتهى إلى أن الدائرة هي أنسـب الأشـكال الهندسـية لبداية الفكرة المعمارية حيث رأى أن الدائرة ترتبط أساسا بطبيعة الكون فى شكل الكرة الأرضية، ومن الدائرة استخرج Alberti تسـعة أشـكال هندسـية لتصـميم الكنائس مرتبطة بالمربع والمسـدس والمثمن، من هذا المنطق وبناء على التعريف باستخدام النسب الرياضية يري Alberti أنه للوصول إلى الصيغة الجمالية المطلوبة لابد وأن يكون هناك تكامل في النسب بين جميع أجزاء المبنى، وأن يكون لكل جزء حجمه المحدد ، بحيث إذا أضيف شئ أو انتقص شئ أثر على التجانس العام للمبنى ككل، وأن الذي يحقق ذلك هو الشـكل الدائري أو الاشـكال المسـتمدة منه مثل جسـم الإنسان إذا انتقص منه عضو فقد الجسم مقوماته.

شكل رقم 19– مثال للكنائس فى عصر النهضة (كنيسة 1471,Sant Andrea, Mantu من تصميم Leon Battista Alberti
ويظهر تأثر المعمارى Alberti بمعبد Pantheon الرومانى على سقف الكنيسة)

وبعد ما يقرب من مائة عام على Alberti ظهر معمارى إيطالى آخر هو Andrea Palladio (1508 – 1580م) متأثرا بفكر سلفه من معماريي عصر النهضة فى تعريفهم للجمال عن طريق النسب الرياضية وكذلك تأثره بالفكر الدينى لاسيما فى تصميم الكنائس، إذ قال : إن المبني يجب أن يكون قويا ليعيش أبدا مع استعمال أكمل النظم وأغلى المواد وأن اللون الأبيض هو لون النقاء الذي يتناسب مع جلاله الرب.

شكل رقم 20– مسرح رومانى مغطى The Teatro Olimpico من تصميم Andrea Palladio ,Vicenza
Italy 1585, ويظهر فيه البعد المنظورى للمسرح لأول مرة ، وهو من آخر أعمال Palladio فى عصر النهضة

شكل رقم 21– فيلا La Rotonda من تصميم Andrea Palladio ,Vicenza, Italy 1566

وتبعه المعمارى Tommaso Temanza (1705–1798م) لينتقد الاتجاه الفكرى الذي كان سائدا حتى منتصف القرن الثامن عشـــر والمتمثل في الإعتماد علي الجوانب الرقمية ، والرياضـــية باعتبار أن العين لا تســـتطيع أن تستوعب النسب الهندسية للعرض والطول والارتفاع معا، وهكذا تتطور النظرية المعمارية بانتهاء محاولات نظرية لبعض المعماريين لتحل محلها محاولات معبرة عن حرية الفكر واستمرارية البحث عن النظرية.

وفي القرنين الســـابع عشـــر والثامن عشـــر الميلادى انتقل مركز النظرية المعمارية غربا من إيطاليا إلى فرنســـا وانجلترا، وفي هذه الفترة امتزجت النظريات المعمارية المحلية وانتقلت مع الحركة الثقافية التي مهدت للنظريات المعمارية المعاصرة.

- **تطور النظرية المعمارية الغربية المعاصرة (البحث عن المعنى بين التناقضات) :**

أدت الحروب العالمية الأولى والثانية وفترة الركود العالمى إلى تغيرات عالمية فى الفكر المعمارى والعمرانى وشـــهد القرن العشرين فى الفترة من 1920م حتى 1970م ستة اتجاهات معمارية متتالية هى (المنطقية، المثالية، الذاتية، الإبتكارية المتميزة، الحركية، اللامبالاة). ولكل من هذه الاتجاهات الفكرية المعمارية خلفيته السياسية والاجتماعية والاقتصـــادية التى شـــكلته وأثرت فى أعمال المعماريين. لقد التف كبار المعماريين أمثال Le Corbusier ، Ludwig Mies van der Rohe، Walter Gropius حول فكر اجتماعى مشترك أساسه الحرية الإنسانية والإصـــلاح الإجتماعى (Jencks,1985). ففى أواخر عام 1920م بدأ Le Corbusier يكتب مقالاته فى مجلة L'Esprit Nouveau حيث قال: " إن روحا جديدة بدأت تظهر هى روح الإنشـاء والبناء والفكر الموجه بنظريات واضـــحة " وهو من أطلق أن " المســـكن آلة للعيش " تأثرا بالاتجاه الســـائد لعصـــر الآلة ، حيث كان تأثير الآلة واضحا على أعمال الفنانين والمعماريين الأوروبيين مما ساعد على تطوير الفن فى اتجاه التجريدية.

وفى عام 1922م وضع Le Corbusier تصوره عن المدينة المعاصرة أو Future City التى تضم ثلاثة ملايين نسمة، والتى بنيت على أساس الفصل بين الوظائف الأساسية في المدينة وحركة المواصلات واعتبار أرض المدينة حديقة عامة مع الارتفاع بالوحدات الســـكنية فى أبراج عالية. وفى نفس العام قدم أيضـــا تصـــوره لعمارة الفيلات Unité d'habitation تضـم 120 مسـكن من دورين (فيلا) لكل منها حديقة خاصـة، والتى تعزز فكرة اشـتراكية البناء والسكن وتتجاهل الاحتياجات الرأسمالية واقتصاديات البناء (إبراهيم، 20،1986). ويوضح الشكل رقم 21– مدينة المستقبل وعمارة الفيلات من أعمال Le Corbusier (المصدر: الشبكة العنكبوتية).

وفى العشـرينات من هذا القرن ظهر عددا من الحركات التشـكيلية المختلفة التى ترتبط بالفكر الإجتماعى السـائد، فظهرت حركة "النقاء فى التعبير" فى فرنسا وحركة "الاتجاه الإنشائي" في روسيا وهنغاريا، وحركة "الاتجاه التعبيرى" فى ألمانيا وحركة "التجريد" فى مدن أخرى.

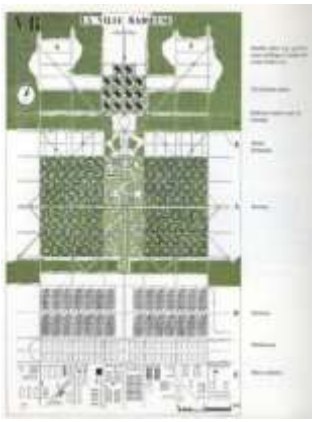

شكل رقم 22– أعمال Le Corbusier تصورة عن مدينة المستقبل عام 1922، ومشروع Unité d'habitation of Nantes-Rezé 1953

وفي عام 1928م أســس Le Corbusier و28 معماريًّا المؤتمر الدولى للعمارة الحديثة فى قلعة la Sarraz ســويســرا والتى عرفت ب" مجموعة

سيام " Congrès International d'Architecture Moderne (CIAM) وتم حلها 1959، وكانت مسؤولة عن سلسلة من الأحداث والمؤتمرات رتبت في جميع أنحاء أوروبا من قبل المهندسين المعماريين البارزين في ذلك الوقت، بهدف نشر مبادئ الحركة الحديثة التي تركز في كافة المجالات الرئيسة للهندسة المعمارية (مثل تنسيق المواقع، التمدن والعمران، التصـــميم الصـــناعي، ....). واعتبر المؤتمر العمارة الحديثة التى عرضـــها Le Corbusier فى معرض فايزنهوف عام 1927 بمبادئه الخمســة بمثابة طراز القرن العشــرين وإن اختلفت الآراء داخل هذه المجموعة التى انقســمت بين المعماريين الفرنســيين الذين انحازوا إلى الجوانب الشــكلية فى العمارة والمعماريين الألمان الذين انحازوا إلى الجوانب الوظيفية فى العمارة وكونوا فى ألمانيا مدرســة الحرف والفنون Bauhausأسسها المعمارى الألمانى Walter Gropius وضمت المعمارى Mies van der Rohe والمعمارى Bruno Taut لإيجاد أعمال فنية جماعية وبناء مجموعات كبيرة من الإســكان وإزالة المبانى التى لا تحمل قيما معمارية عالية (Wikipedia the Free Incyclopedia).

وفى الطرف الشــرقى من العالم تمثل الحركة الفكرية المعمارية التى ظهرت فى اليابان بقيادة المعمارى Kenzō Tange وسطا بين الإتجاهات السابقة فهي من جانب تنتمي إلى فكر الرواد المتمثل فى أعمال Le Corbusier الأخيرة ومن جانب آخر تنتمي إلى الحركة الفنية المتحررة من أية قيود وهي بين هذين الإتجاهين تعد مثالا للحركة المعمارية المنطقية، والفكر المنطقى يرتبط دائما بالمنهج الهندســي، الأمر الذي ظهر أيضــا فى أعمال كل من المعمارى الإيطالى Pier Luigi Nervi والمعمارى الاســترالى peter muller في أواخر الأربعينيات بالتتابع والتوازى مع الاتجاهات المعمارية الأخري.

شكل رقم 23– أعمال Pier Luigi Nervi Norfolk Scope Arena in Norfolk, VA, USA. 1971،

The Tour de la Bourse in Montreal (1964)

وفي بداية الخمسينات ظهرت سلعة جديدة تتصل بالعمارة وهي التجهيزات والعناصر المعمارية التى عرضت فى الأسواق تحت مسمى " اصنعها بنفسك " وفى هذا الاتجاه وضع المعمارى الهولندى نيكولاس هابركان نظرية فى الإسكان فرق فيها بين الهياكل الإنشائية والوحدات المنفصلة أو بتعبير آخر الفصل بين الاستعمالات العامة الثابتة التى تخص البلديات والاستعمالات الخاصة للمستهلك ، وفي جانب آخر من الصورة ظهر فى روسيا الاشتراكية اتجاه إلى لفظ الفن المخزون والدعوة إلى الخروج بالفن إلى الشارع والمصنع والمسكن تحت شعار "الفن للجميع"، فالفكر السياسى يؤثر على الاتجاهات الفنية. كما توجه الفكر المعمارى أيضا فى نفس الطريق للإهتمام بمشروعات الإسكان والمناطق العشوائية. وفى الخمسينات انتشر الطراز العالمى The International Style وقبلته معظم الحكومات فى أوروبا لمواءمته مع مثالياتها الاجتماعية، وتميز هذا الطراز العالمي باستعمال الحوائط الستائرة الخارجية التى يحملها الهيكل الإنشائى للمبنى.

وفي اتجاه آخر نجد فكرا معماريا أساسه الإدراك الذاتي أو الذاتية، وهي تتبني أحد الاتجاهين: إما الإمتثال التام لنماذج الماضي المعمارية اعتقادا منها أنها تحوي نظاما عالميا يجب احترامه، وإما التمسك الشديد بهذه المباني لما تمثله لها من ضمان لفكرة الخلود والاستمرارية. وفي منتصف الستينيات ظهرت حركة فنية حسية جديدة، وكانت هذه الحركة تهدف إلى محاربة البيئة الصناعية الرتيبة، التى عبرت عنها عمارة هذه الفترة مع توظيف ثمار التكنولوجيا المعاصرة فى التشكيل والبناء، وقد تكون هذه الحركة جزءا من حركة "فن البوب" وحركة "المعسكر" ومن روادها المعمارى الأمريكى Paul Rudolph وهى حركة معمارية ظهرت فى أمريكا فى الستينات تحت شعار " ابحث عن السمو الخفى للحياة العادية" أو شعار " الجمال ينبع دائما من القبح" وهى حركة مسايرة لفنون زمانها وخارجة عن التقاليد الاجتماعية والثقافية السائدة فى أوروبا، فكانت عمارتها بغير غرض والشكل لايتبع الوظيفة، عمارة تستخدم التكنولوجيا ولاتخضع لها عمارة مطلقة بلا حدود مقيدة أو أسس معوقة فيها خروج عن واقعية الحياة ونظام الكون ومنطق الإنسان.

شكل رقم 24– أعمال Paul Rudolph r ، University of Massachusetts Dartmouth Claire T Carney Library & The Art Architecture Building (renamed Rudolph Hall in 2008) houses the Yale School of Architecture and is one of Paul Rudolph's best known works. (المصدر: الشبكة العنكبوتية)

وهكذا يكشـف اسـتقراء نشـأة وتطور النظرية المعمارية الغربية عن أن الفكر المعمارى الغربى كان له اهتمام كبير فى تدوينات الرواد أو الآباء المؤسسين وشكل ركيزة للتطور بالنقد والتغيير أو التجديد أو النقض. وهو بذلك لايقف عند حد ولا يرتبط مع الزمن بنظرية واحدة أو اتجاه واحد، فالحركة المعمارية التى ظهرت فى أوروبا وأمريكا تأثرت بالعديد من النظريات والاتجاهات الفكرية والفنية والسياسية والاجتماعية التى ظهرت فى أوقات متتالية ومتزامنة فى بيئات مترابطة متفاعلة ، كما يكشـــف عن دور المعماريين فى صـــياغة تلك النظريات فكريا وعمليا تطبيقيا فى أعمالهم حتى أصبحت جزءا من التاريخ المعمارى المعاصر.

الاستقراء الثالث : النظرية المعمارية فى الفكر العمرانى الإسلامى:

نستعرض من خلال هذا الاستقراء جهود المفكرين والمعماريين والمخططين المسلمين عبر الزمان والمكان ورؤيتهم للعمارة والعمران كمدخل لفهم الروح العربية والإسلامية وتحديد الاتجاهات والآراء المختلفة حول ظاهرة العمارة والعمران الإسلامى ، وهى جهود متعددة نستعرض منها رأى بن خلدون كمفكر رائد على العمران الإسلامى بالمغرب العربى ، ورأى آخر مختلف لمفكر ومعمارين معاصرين من المشرق العربى.

- **النظرية المعمارية فى فكر بن خلدون (فيلسوف من المغرب العربى) :**

لم يتمكن المعماريون الذين شيدوا الصروح المعمارية التاريخية من تسجيل فكرهم المعمارى لأعمالهم. ولايوجد لهم تدوين أو تأريخ لمعظمهم على الرغم من عظمة إبداعاتهم المعمارية والفنية وكانوا بلا شك على علم تام بالعدد الرئيسة لمزاولة الأعمال الهندسية وهى الزاوية والمسطرة والفرجار والمنقلة وأن هناك من الأعمال المعمارية ما يدل على معرفتهم التامة بعلم من أصعب العلوم الهندسية الأساسية وهو علم الهندسة الوصفية (شافعى،1982،ص76). ويعد بن خلدون أقرب العلماء والمفكرين العرب الذين يمكن الاسترشاد بكتاباتهم كشاهد على حقبة تاريخية باستقراء كتاباته للبحث عن النظرية المعمارية، فقد كتب بن خلدون فى العمران والمساجد والبيوت العظيمة ، كما كتب عن الهندسة وتفاصيل صناعة البناء. وحول العمارة نجد كتاباته قد تعرضت لها فى الإطار العمرانى المتكامل بمقوماته السياسية والاجتماعية دون التعرض لجوانبها التشكيلية والجمالية.

ذكر بن خلدون صناعة البناء والمقصد منها فقال: " هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضرى وأقدمها، وهى معرفة العمل فى اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان فى المدن ؛ وذلك أن الإنسان لما جبل عليه الفكر

فى عواقب أحواله لابد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها والبشر مختلفون فى هذه الجبلة الفكرية التى هى معنى الإنسانية " (بن خلدون،1991،ص259). ويظهر من قول بن خلدون الدعوة إلى إعمال الفكر فيما ينفع الإنسان وهذه قيمة إسلامية أو هى قيمة إنسانية.

وتعرض أيضا إلى تحديد أسباب انتشار واضمحلال العمران أو ما أسماه "مبادئ الخراب فى الأمصار" فقال فى مقدمته " إعلم أن الأمصار إذا اختطت تكون أولا قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر والجير وغيرهما ، مما يعالى على الحيطان عند التأنق كالزلج والرخام والربج والزجاج والفسيفساء والصدف؛ فيكون بناؤها يومئذ بدويا وآلاتها فاسدة. فإذا عظم عمران المدينة وكثر سكانها كثرت الآلات بكثرة الأعمال حينئذ وكثر الصناع إلى أن تبلغ غايتها من ذلك كما سبق بشأنها، فإذا تراجع عمرانها وخف ساكنها قلت الصنائع. لأجل ذلك فقدت الإجادة فى البناء والإحكام والمعالاة عليه بالتنميق، ثم تقل الأعمال لعدم الساكن فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرها فتفتقد ويصير بناؤهم وتشييدهم من الآلات التى فى مبانيهم فينقلونها من مصنع إلى مصنع، لأجل خلاء أكثر المصانع والقصور لقلة العمران وقصوره عما كان أولا، ثم لاتزال تنقل من قصر إلى قصر ومن دار إلى دار إلى أن يفقد الكثير منها جملة، فيعودون إلى البداوة فى البناء واتخاذ الطوب عوضا عن الحجارة والقصور عوضا عن التنميق بالكلية، فيعود بناء المدينة مثل بناء القرى والمدر ويظهر عليها رسمة البداوة، ثم تمر فى التناقص إلى غايتها من الخراب إن قدر لها به، سنة الله فى خلقه" (بن خلدون،1991،ص227). وهكذا تتضح أهمية الموازنة بين البناء فى المراحل المختلفة من التعمير واحتياجات المجتمع فى هذه المراحل، وكذلك الموازنة بين مادة البناء وعمرها الافتراضى الأمر الذى يرتبط بالنواحى الاقتصادية والاجتماعية لمواجهة عمليات البناء فى المجتمعات الإسلامية.

وفى موضع آخر من المقدمة يقول بن خلدون فى أن المبانى والمصانع فى الملة الإسلامية قليلة بالنسبة إلى قدرتها وإلى ماكان من قبلها من الدول ، والسبب فى ذلك أن العرب أعرق فى البداوة وأبعد عن الصنائع. وأيضا كانوا أجانب عن الممالك التى استولوا عليها قبل الإسلام ولما تملكوها لم ينفسح الأمد حتى تستوفى رسوم الحضارة، مع انهم استغنوا بما وجدوا من مبانى غيرهم ، وأيضا كان الدين أول الأمر مانعا من المغالاة فى البنيان والإسراف فيه فى غير القصد. كما عهد عمر بن الخطاب حين استأذنوه فى بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع حريق فى القصب الذى كانوا بنوا به من قبل، فقال عمر: "إفعلوا ولايزيدن أحد على ثلاثة أبيات، ولاتطاولوا فى البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة"، وعهد إلى الوفد وتقدم إلى الناس ألا يرفعوا بنيانا فوق القدر قالوا وما القدر؟ قال مالايقربكم إلى السرف ولايخرجكم عن القصد. فلما بعد العهد بالدين والتحرج فى أمثال هذه المقاصد وغلبت طبيعة الملك والترف واستخجم العرب أمة الفرس وأخذوا عنهم الصنائع والمبانى ودعتهم إليها أحوال الدعة والترف فحينئذ شيدوا المبانى والمصانع (بن خلدون،1991،ص226). وهكذا كان الفكر الراشدى موجها لعمليات البناء وكان الالتزام بالمعيار الذى وضعه عمر بن الخطاب وهو " مالايقربكم من السرف ولايخرجكم عن القصد "، وهو معنى الوسطية فى النظرية المعمارية كما يحددها الإسلام.

- **النظرية المعمارية فى فكر نصر/أردلان/بختيار (فلاسفة من المشرق العربى) :**

إذا كانا بن خلدون فيلسوف من المغرب العربى قدم تصوراته ورؤيته للعمارة والعمران الإسلامى، فإن الشرق لايخلوا من مفكرين وفلاسفة أيضا ومنهم الفيلسوف الإيرانى "سيد حسين نصر" وكذلك آراء اثنين من كبار معماريى إيران المعاصرين وهما نادر أردلان ولاله بختيار فى كتابهما " الحس الوحدوى: تأثير القيم الصوفية على العمارة الفارسية

التراثية The Sense of Unity : The Sufi Tradition in Persian Architecture ". ونلاحظ إلحاقه العمارة الإسلامية فى منطقة إيران بصفة العمارة الفارسية وهى رؤية قومية محدودة تبتعد عن عالمية العمارة والعمران الإسلامى.

عندما حاول الفيلسوف الإيرانى سيد حسين نصر أن يقدم نظرية للعمارة فى العصر الإسلامى بدا متشبعا بالنظريات الفنية والمنهج الفكرى الغربي الذى ظهر فى عصر النهضة فيقول : "إن عمارة المسلمين كغيرها من العمارة التراثية ترتبط بالمظاهر الكونية فالكون يعكس المبدأ الإلهى وكذلك الإنسان، وأن الإنسان فى حد ذاته مرتبط بهذا الكون". وفى موضع آخر نجده متأثرا بآراء وتعبيرات Palladio و Alberti فيقول "إن العمارة التقليدية وبخاصة عمارة المعبد بصفة عامة وعمارة المسجد بخاصة هى صورة للكون أو للإنسان فى مقياسه الكونى، حيث أن جسم الإنسان يعد المعبد الذى تسكنه الروح" ، وهو بذلك ينتهج نفس المنهج الذى اتبعه المعماريون فى عصر النهضة ليس فقط بالبحث عن النظرية من خلال دراسة وتحليل العمارة التراثية من حيث النظرة الكلية الشاملة للبعد الكونى، ولكن أيضا من حيث مكوناتها وعناصرها المعمارية ، حيث إن الفراغ هو الأساس ولاينفصل عن الشكل فى عمارة المسلمين.

وفى مكان آخر يقارن ، نصر بين الفكر الغربى والفكر الإسلامى فى التشكيل المعمارى فيقول: إن المسكن فى العمارة الغربية موضوع فى الفراغ الذى تحدده المعالم العمرانية المحيطة به، أما الفراغ فى عمارة المسلمين فهو مستقطع من البناء الكلى وتحدده الأسطح الداخلية لهذا البناء ، وأن توجيه الفراغ وخصائصه الكمية وعلاقته بالشكل هى عناصر أساسية فى العمارة التراثية الإسلامية.

ومرة أخرى يعود سيد حسين نصر إلى منهج Alberti وغيره من فلاسفة العمارة فى عصر النهضة حيث ارتبطت أسس تصميم العمارة التراثية عندهم بالناحية الحسابية أو الرياضية وبخاصة بالنسبة للأشكال الهندسية حيث لا تظهر الأشكال والأرقام فى قالبها الكمى فقط بل تكون لها دلالاتها الكيفية أيضا. فكل رقم أو شكل إذا نظر إليه من الناحية الرمزية يعبر عن الوحدة ويعكس القيمة الموجودة بها، وبهذه الرؤية الغربية يستطرد نصر فى تفسير الرمزية فيقول: إن مربع الكعبة المشرفة يتردد فى أفنية المبانى وأنه ليس مجرد مربع، ولكنه يرمز إلى الثبات والكمال ويعكس صورة المعبد المربع فى الجنة الذى تمثله الكعبة على الأرض. ويرى أن الشكل المثمن فى العديد من المساجد ليس مجرد شكل إنشائى يساعد على حمل القبة فوق قاعدة مربعة، ولكنه انعكاس للعرش الإلهى الذى تحمله ثمانية من الملائكة مستلهما ذلك من قوله تعالى فى سورة الحاقة آيه 17 "**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**". كما يرى أن القبة ليست مجرد وسيلة لتغطية مكان معين ، ولكنها ترمز إلى غطاء السماء وما بعده من عالم روحانى لانهائى، ومنها يصبح الشكل الكروى أو الدائرى هو الرمز الهندسى الأمثل. ويرى أن العمارة التراثية ككل الفنون لايمكن فصل الشئ فيها عن المعنى، فالمعنى لايختلف كثيرا عن الروحانية، وبهذه الرؤية يمكنه تفسير المعانى التى تعبر عنها العمارة التراثية تبعا للمقاييس الشكلية أو الرمزية التى يراها.

وفى تفسيره للضوء والألوان فى العمارة التراثية فى إيران يرجع نصر الموضوع إلى أن اهتمام الفرس بالإضاءة كان واضحا قبل الإسلام ومرتبطا بالتعاليم الدينية على مر التاريخ (فى إيحاء إلى نار فارس). كما كانت للألوان أهمية كبرى فى الفنون الفارسية فالأبيض الذى هو قمة الألوان يرمز إلى الوجود.

ولايبتعد المعماريان الإيرانيان نادر أردلان ولاله بختيار كثيرا عن فلسفة سيد حسين نصر ورؤيته للعمارة الإسلامية وهو ما قدماه فى كتابهما " الحس الوحدوى: تأثير القيم الصوفية على العمارة الفارسية التراثية The Sense of Unity : The Sufi Tradition in Persian Architecture "، حيث يستندان فى جميع تحليلاتهما إلى الفكر الصوفى الذى ظهر فيما بين القرنين العاشر والخامس عشر فى جنوب العراق وإيران.

ويبدأ أردلان وبختيار عرض رؤيتهما حول النظرية المعمارية الإسلامية "أن الشريعة الإسلامية لم تكن هى الموجه المباشر لمبادئ الإنسان التقليدى بل كانت الطريقة التى ينتهجها هى الموجهة للمبادئ التى حكمت الفن والعمارة الإسلامية ، فالفن الإسلامى فى نظرهما جاء نتيجة تزاوج العلوم الطبيعية والحرف المشكلة لنظمها والتى ترعاها اتحادات الحرفيين ، ويقولان إن الإنسان التقليدى فى المجتمع الإسلامى يعيش تبعا لقواعد الشريعة بالإضافة إلى أن الإنسان ذو الموهبة الحرفية المتميزة يبحث عن "الحقيقة" من خلال "الطريقة" الكامنة فى أعماق "الشريعة" ، و أن العلاقة بين الحقيقة والطريقة والشريعة يمكن أن يلزم لها بالدائرة حيث تكون الشريعة هى محيط الدائرة، والطريقة هى القطر المؤدى إلى المركز والحقيقة هى المركز (إبراهيم،1986،ص46).

وترتكز فلسفتهما فى تأويل العمارة الإسلامية على أن لكل شئ ظاهره وباطنه، فالظاهر فى الشكل والباطن فى الخصائص المشتركة للأشياء والتى تحتاج للقدرة على التأويل. والرمزية عندهما طبيعية ومكتشفة، فالإنسان فى تشكيلاته الفنية يستقى النظم من المظاهر الطبيعية ويضعها فى الأشكال الهندسية المتماثلة حول مركزها وهى بذلك تمثل " التوحد من خلال الوحدة " والتى يُعدها أردلان وبختيار تعبيرا عن التوحيد، ويتشابهان فى ذلك مع رؤية Alberti من أن الوحدة الهندسية فى الكنيسة المثالية يجب أن ترتبط الكليات بالجزئيات.

وفى تفسيرهما للقبة فى العمارة الإسلامية يشيران إلى أنها هى المحتوى الذى يبنى على أساس قوانين الحساب والاتزان التى ترتبط بمركزها، وهى بذلك ترمز إلى الروح العالية التى تضم الكون والمصدر الرئيس لكل الكائنات. وهما بهذا التفسير يؤكدان على الروحانيات والرمزية ثم ينتقلان من عالم الطبيعة إلى عالم الشكل ثم عالم المعنى فالملكوت فالجبروت وحتى عالم اللاهوت، ويبتعدان بذلك عن جوهر الإسلام وتعاليمه والشريعة ومقاصدها كمنهج لحياة الإنسان/المجتمع الإسلامى. وفى تفسيرهما لموضوع الشكل عرضا مجموعة من التشكيلات الهندسية والفراغية التى تحكمها النسب الرياضية. وحاولا من تحليلهما لقطاع فى قبة المسجد الجامع بأصفهان أن ينسبا نسبتها إلى المتوسط الذهبى. ثم تطرقا إلى الإنسان كوحدة للقياس فى محاولة لاستخلاص نظام Module المستوحى من جسم الإنسان، واعتبرا أن ارتفاع الإنسان 6 أقدام وبذلك يعد أول رقم حسابى كامل ليس فقط لأنه مأخوذ من ارتفاع الإنسان ولكن لأنه يمثل الجوانب الستة للمكعب. وعليه فهو الرقم الذى يجب أن تستنبط منه نظم النسب التى تحدد الفراغ.

وهكذا يستمر البحث عن المنظور الاسلامى فى النظرية المعمارية حتى من جانب المسلمين أنفسهم الذين انتهجوا المنهج الغربى فى البحث والتحليل، الأمر الذى أبعد كل القيم السامية التى تكون العقيدة الاسلامية عن منهج البحث والتحليل، وهنا مصدر الخطر الذى يتعرض له الإسلام كحضارة متكاملة ترسم حياة الفرد كما ترسم حياة المجتمع فى كل زمان ومكان ، من هنا لابد من الاستمرار فى البحث عن المدخل العقائدى لتحديد المنظور الإسلامى للنظرية المعمارية.

الاستنباط الأول : موجهات العمران فى الإسلام (وجدان النظرية العمرانية) :

لم يكن العرب بعيدون عن التمدن والعمران فهم أهل تجارة وترحال وكانوا على صلات مستمرة بمدائن كسرى وفارس بالعراق من جهة وحضارة الروم بالشام ودمشق من جهة أخرى وشاهدوا وتأثروا ونقلوا ماياناسب بيئتهم وثقافتهم ، فعرفوا البناء بالحجر وبالآجر والجص وبالطين واللبن وبالقصب ذلك هو تاريخهم قبل الإسلام. وحينما ظهر الإسلام معلنا عن ظاهرة جديدة للعمران البشرى على الأرض، كانت آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية تعمل بمثابة " موجهات للعمران فى الإسلام " أثرت فى وجدان الإنسان/المجتمع الإسلامى وشكلت أسلوب حياته وعلاقته بعمران الأرض ، ويتضح هذا الأمر من استقراء آيات القرآن الكريم ومدارسة السنة النبوية قولا وفعلا يعكس التوجيه الإلهى والفكر النبوى فى العمران، وهو بحث شاق وطويل ويحتاج لتفصيل لايتسع له المقام ولكنه واضح وجلى....، ونعرض لبعض هذه الموجهات العمرانية :

1- الموجهات التاريخية الحضارية : نظر العرب إلى آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم نظرة جدية آمنوا بها ووثقوا فيها فرفعت من مستوى وعيهم الحضارى بالوجود والحياة، وتعلموا منها سنن العمران ودورة الحضارة وموضع الإنسان منها ودوره فيها سلبا أو إيجابا. ويوجه عز وجل إلى ذلك بقوله " قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ " (آل عمران،137)، وحتى لاتجرى عليهم سنن الله فيما كان قبلهم من الأمم يقول: " أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " (الروم،9)، ويؤكد ذلك قوله عز وجل " (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ "(الأحقاف،26).

وشكلت الآيات التى عرضت قصص الأمم السابقة -أجدادهم من العرب البائدة كقوم هود وعاد وثمود وفرعون - وجدانهم الحضارى كأمة وبصرهم بأسباب وسنن الله فى هلاك تلك الأمم وفساد تعميرها للأرض وأبنيتها التى دمرت ولم تغن عنها من الله شيئا (عزب،1997،ص32) بالرغم من قوتهم وسطوتهم وتمكنهم الحضارى والعمرانى. وحملت بعض سور القرآن أسماءهم "سورة هود، الحجر، الأحقاف"، فعن قوم عاد أصحاب إرم ذات العماد يقول تعالى " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ* إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ* الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ " (الفجر،6-8)، وعن قوم ثمود أصحاب مدائن صالح يوجه الله تعالى " وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ " (الأعراف،74)، وعن منهج العمران يوجه إلى العدل فيقول عز وجل: " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " (الأعراف،85).

2- الموجهات العقائدية : أدت العقيدة الإسلامية أو عقيدة توحيد الألوهية والربوبية دورا جوهريا فى إعادة صياغة ونضج العقل العربى وتغيير مفهومه للحياة والكون والوجود، بل ورسمت له منهجا واضحا لمعنى الحياة الدنيا ومعنى الحياة الآخرة يقول الله عن ذاته العليه فى سورة الإخلاص: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " . وحددت الخصائص العقيدية للإسلام والإيمان والإحسان والتى تتدرج بأسلوب حياة المسلم والمؤمن والمحسن. الأمر الذى انعكس على ظاهرة العمران الإسلامى فابتعدت طرز العمارة والفنون الإسلامية عن كل المظاهر والأعمال التى تخالف العقيدة مثل التشبيه لله فيقول عز وجل: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "

(الشورى،11) أو الملائكة أو الجن فيقول أيضا " وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ " (الزخرف،19)، وتصوير أو تجسيد تماثيل للبشر والحيوانات وذوات الأرواح حيث نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التماثيل والصور فى المنزل. ومن جهة أخرى كانت الموجهات العقائدية ملهمة لظهور روح جديدة فى العمارة والفنون الإسلامية التى اتخذت من الخط العربى والزخرفة الهندسية مصادر للإبداع والتميز وظهور حرف وصناعات إسلامية جديدة لقد كان لحديث " إن الله جميل يحب الجمال " (رواه مسلم والإمام أحمد) وآيات وصف الجنة ومنازلها، أثرا كبيرا فى شغف المعمارى والفنان المسلم بالإبداع والإتقان والتنوع داخل الوحدة الخطية أو الزخرفية.

3- الموجهات التشريعية : وجهت ظاهرة العمران الإسلامى إلى أن العمران هو منظومة متوازنة بين الإنسان والبيئة وبين الإنسان والمجتمع ووضعت الأطر التشريعية للحقوق والواجبات بين أطراف هذه المنظومة لتكون البيئة العمرانية مستدامة اجتماعيا واقتصاديا وبيئيا ، ومن تلك الأطر إطار العلاقة بين الإنسان والأرض من حيث طرق وأساليب حيازة الأرض بالملكية أو حق الانتفاع أو حق الشفعة أو الإحياء إلى غير ذلك من الحقوق التى تضبط منظومة الإنسان والأرض والأنشطة المختلفة للأرض كالإيجارة والمزارعة.

والإطار الأهم من تلك الأطر إطار العلاقة بين الإنسان والإنسان ، والإنسان والجماعة كعلاقة حق الجوار وواجبات الجيرة وحقوق الطريق وحق المسلم على المسلم وواجب الضيافة وواجب النصح وواجب التعليم والإرشاد إلى غير ذلك من الموجهات التشريعية التى التزم بها وتوافق حولها واتفق عليها الإنسان والمجتمع الإسلامى، وكما كونت تلك الموجهات نسيجا اجتماعيا متماسكا متعاونا على الخير له صبغة إسلامية فى جزئيات وتفاصيل أسلوب حياته، أنتجت نسيجا عمرانيا وبيئة عمرانية مترابطة متساندة فيزيقيا وبيئيا له طابع عمرانى ومعمارى إسلامى فى مختلف أنماطه وتكويناته العمرانية طرزه وتفاصيله ومفرداته المعمارية. ولا أدل على ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم واصفا المجتمع المسلم " المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا " (رواه البخارى ومسلم) وقال أيضا " مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمَّى " (رواه البخارى ومسلم).

4- الموجهات البيئية : بالرغم من البيئة الصحراوية التى ظهر فيها الإسلام وعاش العرب معاناة ظروفها المناخية الصعبة والموارديه النادرة، إلا أن القرآن والسنة وجهت المسلمين إلى فهم الكون الذى يعيشون فيه بمكوناته ومفرداته، وضرورة المحافظة عليه والاستفادة من موارده الظاهرة والباطنة، وفهم وإدراك عناصر البيئة الطبيعية والتعامل معها وتنميتها وربط ذلك بالأجر والثواب والأمثلة على ذلك كثيرة فى القرآن والسنة فجاء فى الحديث " ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة "(رواه البخارى)، واعتبر الرسول أن غرس الأشجار وتطهير الأنهار وحفر الآبار وغيرها من الأعمال النافعة صدقة جارية. وحددت السنة النبوية معايير التعامل مع الماء كجوهر للحياة وضرورة شرعية للمسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تسرف فى الوضوء ولو كنت على نهر جارى " (رواه البخارى). وقال تعالى عن الممارسات الخاطئة للعمران البشرى وضررها البيئى: " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " (الروم،41).

وقد أثرت الموجهات البيئية من القرآن والسنة فى تنوع وتعدد مظاهر اهتمام المسلمين بالبيئة والمحافظة على مواردها الطبيعية من التلوث والاستنزاف وأضرار التغييرات البيئية، ومن أهم نتائج الموجهات البيئية فى الظاهرة العمرانية

الإسلامية هو تشييدها للمدن والتجمعات العمرانية، بعيدا عن الموارد والثروات الطبيعية كالأراضى الزراعية والمحافظة على أرض العامر وحريمه، وهو ما نشاهده فى مدن الجيل الثانى كالفسطاط والكوفة والبصرة والقيروان وغيرها من المدن والأمصار الإسلامية التى شيدت على أطراف الصحراء وحولت البيئات الصحراوية غير المعمورة بتضاريسها ومناخها القاسى وقلة مواردها الطبيعية وصعوبات الحياة بها إلى بيئات عمرانية مستدامة لاتزال تنبض بالحياة وتحمل فى نسيجها كل مقومات البقاء الاجتماعى والاقتصادى والبيئى حيث انتشار عمرانها وحدائقها وأنماطها وطرزها المعمارية وتكويناتها العمرانية.

الاستنباط الثانى : " مقاصد العمران " نظرية عمرانية إسلامية معاصرة

إن المدينة ليست مجرد تجمع من البشر فى مكان جغرافى واحد بل إن المدينة عبارة عن تفاعل حقيقى بين الإنسان والمجتمع وبين الإنسان والمكان، ولايتم هذا فى فراغ بل تحكمة أطر فكرية عمرانية تعبر عن صيرورة لذلك المجتمع وهذا المكان (الأعظمى– مهادين،1994،ص9). ومن هذا المنطلق يمثل هذا الجزء من البحث استنباطا فكريا أصيلا يعكس إطارا فكريا وتصورا لنظرية تفسر الظاهرة العمرانية الإسلامية وتبدوا (من وجهة نظر الباحث) إمتدادا للنظرية الأولى التى نشأ منها العمران الإسلامى وأبدع خلالها وتميز بها عبر الزمان والمكان. ولكن ماهو معنى النظرية والنظرية العمرانية المعمارية ؟. قد تعني النظرية، في حدها الأدنى، رؤية منظمة منهجياً بمجموعة من المفاهيم، والعلاقات، والتحولات التي تعمل على تفسير ظاهرة معينة بهدف تكوين معرفة موضوعاتية Thematic حول طبيعتها البنيوية، والصفاتية، والوظيفية. وتمثل النظرية بصفة عامة أساساً من أسس العلم الضرورية، ومبادئه الحدية، وإجراءاته المنطقية، لكنها بصفة خاصة تمثل العلم النظري المجرد المتعلق بأى من أركان المعرفة الإنسانية وجوانبها الإبداعية (حنش،2011،ص3). وعليه فإن نظرية العمارة تعنى تلك الآراء ووجهات النظر والرؤى والتفسيرات التي قدمها دارسو الظاهرة العمرانية الإسلامية بكل مظاهرها، ومفاهيمها، وعلاقاتها، وتحولاتها فضلاً عن طبيعتها البنيوية والصفاتية والوظيفية.

واستمرارا للبحث عن مدخل للنظرية العمرانية الإسلامية، ينطلق من ثوابت النموذج الثقافى الإسلامى ويرتكز على قاعدة علمية إسلامية منضبطة، تعتبر مقاصد الشريعة الإسلامية مدخلا جديرا بالبحث والدراسة، إذ إن الشريعة " وضعت لتحقيق مقاصد الشارع فى قيام مصالح الناس فى الدين والدنيا معا، ومقاصدها الخمسة حفظ النفس والنسل والعقل والمال والدين، التى هى أسس العمران أو "مقاصد العمران" .... والتى لولاها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ولفاتت النجاة فى الآخرة " (الشاطبى،ص3). وتمثل الشريعة التى هى مقاصد العمران السدة واللحمة التى نسجت منها مختلف "فنون المكان" الأربعة فى الحضارة الإسلامية وهى فنون العمارة وهندسة المناظر الطبيعية وتصميم المدن والريف وفنون النحت والزخرفة الإسلامية (الفاروقى،ص573).

- **تكوين البيئة العمرانية من تنازعات حكم الأعراف إلى توافقات مقاصد الشريعة :**

إن الإنسان/المجتمع فى رحلة البحث عن عالم أفضل بيئة ومجتمع وعمران منشغل دوما بمهمة حل المشاكل التى تنشأ عن تقييمه لوضعه ولبيئته وهى الأوضاع التى يحاول تحسينها بالتجربة والخطأ (بوبر،ص7)، وخلال ذلك وبسببه فإن الأفراد المشاركين فى تكوين البيئة العمرانية ولاختلاف قيمهم ومذاهبهم الفكرية Ideologies قد يتفقون أو يتنازعون ومن ثم يصدرون أو تصدر لهم القوانين ويسيطرون على بعضهم البعض، أى أن عملية تكوين وبناء

البيئة العمرانية تؤدى إلى صراع بين الأفراد المشاركين فى تكوينها ولتلافى ذلك الصراع أنشأت قوى المجتمع ومؤسساته مجموعة من الأعراف والأنظمة العمرانية التى يتمكنون من خلالها من معرفة ماهو مسموح ومحظور عليهم عمله (أكبر،ص31)، وهكذا فإن حكم الأعراف قد يتجاوز عن حفظ حقوق وحماية النفس أو النسل أو المال أو العقل أو الدين لصالح طبقة على حساب طبقات أخرى.

ولطالما كانت الأنظمة والقوانين والأعراف العمرانية محل تنازع بين الأفراد وعدم توافق بين المؤسسات والطبقات المشاركة فى تكوين العمران، حيث سعى أصحاب السلطة والنفوذ والمال إلى انتزاع مميزات عمرانية انعكست على نسيج العمران من وجود مناطق عمرانية مميزة فى الموقع والموضع والمساحة والنمط المعمارى، بينما تعانى أغلبية مناطق البيئة العمرانية من مظاهر الإهمال والعشوائية ، ويظهر ذلك فى أن معظم الآثار الموجودة هى عمارة وعمران الملوك وأصحاب السلطة، بينما تختفى عمارة وعمران الشعوب ولايوجد من آثارها إلا القليل (رابوبورت،ص1). لقد كان نموذج (المدينة–الدولة City-State) الذى ساد أوروبا خلال الحقبة الإغريقية والرومانية وعكس المساوئ الاجتماعية والاقتصادية والأمنية والسياسية للنموذج الحضارى الإمبراطورى ومفاهيمه الثقافية والحضارية، هو السبب المباشر فى انهيار الإمبراطورية الرومانية حيث عكس مفهوم التفاوت والتمييز والتميز الطبقى بين السكان، " فبرغم روعة المبانى إلا أن مدينة روما – شأنها شأن أثينا – لم تكن تهتم بتطوير الأحياء المتخلفة والتى يقطنها الفقراء ، فما أن يغادر المرء بوابات المدينة حتى يجد نفسه وسط شوارع ضيقة تخترق المناطق التى يعيش فيها العامة . وإذا كان الرومان قد أقاموا ميادين عامة ضخمة وشقوا كثيرا من الطرق بفضل الضرائب التى فرضوها على السكان إلا أن الجماهير الفقيرة لم تكن تتمتع بحق الوقوف فى هذه الميادين والمرور فى تلك الطرقات " (الحسينى،ص22–24). وبذلك فالمدينة فى ظل هذا النموذج كانت للبعض وليست لكل سكانها أى لفئة دون المجتمع مما أدى إلى تخلى سكانها عنها حتى أن مدينة روما خلال فترة الانحلال بعد سقوط الإمبراطورية قد تحللت حتى وصل عدد سكانها إلى 20 ألف نسمة فقط ، بعد أن كان يقترب من المليون نسمة فى القرن الميلادى الأول (على،ص24).

وعلى خلاف ذلك فقد نشأت البيئة العمرانية الإسلامية من الفكر النبوى لتحقق مقاصد الشريعة الخمسة التى هى أسس العمران الإسلامى ومقدرات ومكتسبات الإنسان (نفس وعقل)/المجتمع (نسل ودين) والبيئة (مال) وتمكينه من الضروريات العمرانية والمعمارية، ثم تطورت معه خلال العصر الراشدى والأموى لترتقى بحاجيات الظاهرة العمرانية التى بدأت تتحدد فيها ملامحها العمرانية والمعمارية، ثم أخذت الظاهرة العمرانية الإسلامية تزدهر وتبدع من خلال التحسينيات التى أضافت للعمارة والعمران الإسلامى التفرد والتميز، وهكذا يعكس النسيج العمرانى للمدن الإسلامية والذى يتسم بالتضامن والتجانس فى مساحات ومواقع ومواضع وتكوينات وطرز عناصره العمرانية والمعمارية، قدرة المقاصد على تكوين وبناء تجانسا وترابطا وتماسكا عمرانيا عمليا وظيفيا بين أفراد المجتمع الإسلامى بلا تمييز طبقى أو عرقى، وهكذا تمكنت مقاصد الشريعة من معالجة وإصلاح الخلل والمشاكل العمرانية التى نشأت بفعل الأنظمة الجبرية والقوانين المتحيزة وأحكام الأعراف المتجمدة ، وتوضح الأشكال من رقم (25– 30) النسيج العمرانى المتضام والمتجانس لمدينة القاهرة التاريخية كغيرها من المدن الإسلامية ويعكس أسلوب حياة لم يتعرض للتحلل والهجر العمرانى منذ نشأته وحتى الآن ، وما زالت الأنشطة العمرانية بالمدينة تعمل وتحمل معها خصائص ومقومات الاستدامة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية (على،جودة، 2014،،ص1).

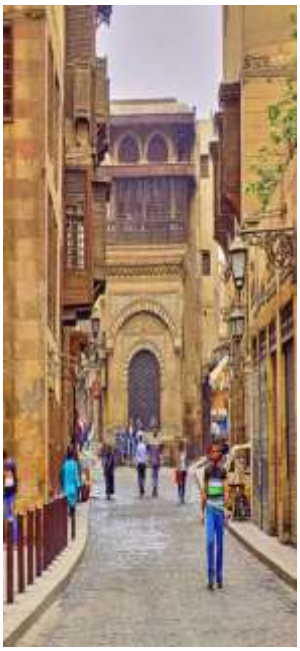

الأشكال من رقم (25– 30) النسيج العمرانى المتضامن والمتجانس لمدينة القاهرة التاريخية

- **الطبيعة البنيوية للظاهرة العمرانية الإسلامية (تضافر مقاصد العمران الإسلامى) :**

وتكتسب الظاهرة العمرانية الإسلامية طبيعتها البنيوية من المنظومة البنائية لمقاصد العمران وطبيعتها البنيوية، فالمقاصد لاتعمل منفصلة ولكنها تعمل كمنظومة متساندة ومتضافرة twined مع بعضها البعض ولا يكاد يخلو مظهر من مظاهر العمران والعمارة الإسلامية من مقصد أو أثنين أو أكثر يفسران طبيعته البنيوية والوظيفية وينعكسان على مكوناته ومفرداته المعمارية وفراغاته الداخلية وكتلته الخارجية وموقعه وموضعه داخل النسيج العمرانى المقاصدى للمدينة وعلاقاته بين ما يجاوره من وحدات ووظائف عمرانية تستكمل تضافر مقاصد العمران الإسلامى. فالمسجد كأحد أنماط الظاهرة العمرانية الإسلامية منذ نشأته بالفعل والفكر النبوى، قد عكس حاجة الإنسان/ المجتمع الإسلامى إلى بيئة عمرانية وفراغ عمرانى يحقق لهم مجموعة من ضروريات أسلوب حياتهم ومعتقداتهم الجديدة، فراغ يحفظ لهم شعائر دينهم، هدوء نفسيتهم وخشوعها للشعائر، للتجمع والمشورة فى أمور دينهم والتعلم من نبيهم، يعيدون فيه صياغة عقولهم ووجدانهم، وهى احتياجات مازالت تتحقق داخل فراغ المسجد وتحقق مقاصد الشريعة من حفظ النفس والعقل والدين، وهكذا اكتسب المسجد منذ نشأته بالفعل والفكر النبوى تصميمه المعمارى وموضعه العمرانى داخل النسيج العمرانى للمدينة الإسلامية من منظومة المقاصد.

وتوضح الأشكال من رقم (36–31) على الترتيب، جامع الأزهر بالقاهرة ويلاحظ تصميمه على النموذج النبوى فناء وأروقة، وكذلك مسجد قرطبة والمسجد الأموى ومسجد تطوان ومسجد القيروان ومسجد مدينة جرداية بالجزائر ويلاحظ توسطها بين النسيج العمرانى للمدن (المصدر: الشبكة العنكبوتية).

شكل رقم 31– مسقط أفقى لجامع الأزهر بالقاهرة

الأشكال من رقم 32–36 توضح المسجد وتوسطه للنسيج العمرانى فى مسجد قرطبة، المسجد الأموى بدمشق، مسجد تطوان الكبير بالمغرب، المسجد الكبير بالقيروان تونس، المسجد الكبير بمدينة جرداية الجزائر (المصدر: الشبكة العنكبوتية)

ويعد المسكن أحد أهم أنماط الظاهرة العمرانية الإسلامية التى حققت نظرية مقاصد العمران، حيث عكس ترتيب وتركيب وتصميم عناصره وفراغاته المعمارية الداخلية والخارجية وعلاقاته التكوينية التجميعية (التى كونت النسيج العمرانى للمدن الإسلامية) قيم التجاور والترابط والمؤاخاة المستنبطة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وهى متعددة ومتنوعة تغطى مقاصد الشريعة. فمدخل المنزل المكنون المنكسر مصمم لتحقيق مقصد إبعاد أعين الغرباء عن رؤية ما فى داخل البيت من نساء وذرية ومال (أثاث وفرش وزينة).

وكذلك عدم تقابل أبواب البيوت بل تباعدها كان لتحقيق مقصد الستر وحفظ النفس والنسل (العرض والذرية) والمال والدين. يقول الله عز وجل: " قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ* وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا " (النور ،30–31)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " (متفق عليه) وحديث " لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه "، وقال أيضا " ألا إن أربعين دارا جارا " (ضعفه ابن حجر فى فتح البارى)، والأحاديث والآيات كثيرة وهى أيضا متدرجة من مستوى الضروريات إلى الحاجيات إلى التحسينيات فى تناغم وظيفى تكوينى يبنى نسيجه ويطوره ويضبط تغيراته العمرانية والثقافية والبيئية . وماتجاور البيوت والمنازل والدور فى المدن الإسلامية وتلاحمها مع الأسواق والمساجد والزوايا والوكالات وتشابك الشوارع وتداخلها إلا لتحقيق

مقاصد العمران عبر تكوين وصياغة نسيجا عمرانيا تعكس تكويناته العمرانية ترابطه الاجتماعى وتكافله الاقتصادى وتوافقه البيئى.

- **الطبيعة الوظيفية للظاهرة العمرانية الإسلامية (فقه مقاصد العمران الإسلامى) :**

يمثل توفير وتلبية احتياجات الإنسان الوظيفة المحورية لظاهرة العمران البشرى على الأرض، فالإنسان فى سعيه للبحث عن حياة أفضل يتحرك لتوفير الطعام والشراب والمأوى وغيرها من "الاحتياجات الفسيولوجية Physiological Needs"، ثم يعمل على توفير الأمن والأمان والسلامة الجسدية وغيرها من "احتياجات الأمان Safety Needs"، وتقوده حركته للبحث عن صداقات وتكوين علاقات أسرية ومجتمعية تشكل مجموعة "الاحتياجات الاجتماعية Social Needs"، ثم يبحث عن وضعه ودوره داخل مجتمعه من تقدير واحترام أو "الاحتياج للتقدير Esteem Needs"، وتمثل قدرته على تحقيق الذات وحل المشكلات أعلى احتياجات الإنسان أو"الحاجة لتحقيق الذات Self-Actualization Needs"، وتشكل هذه الاحتياجات مايعرف بهرم الاحتياجات البشرية أو مايعرف بهرم ماسلو Maslow's Hierarchy of Needs ، الذى يوضحه الشكل (رقم 37) (المصدر: الشبكة العنكبوتية).

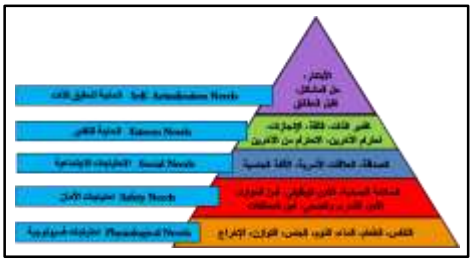

شكل رقم37– هرم الاحتياجات البشرية Maslow's Hierarchy of Needs

ويتنوع تحقيق هرم الاحتياجات البشرية فى الواقع العمرانى عبر الزمان والمكان فتتنوع الظاهرة العمرانية وتعكس مخرجاتها قدرتها على استيعاب وفهم الغاية من العمران البشرى وتلبية احتياجات الإنسان/المجتمع وفقا لمرجعياتها الثقافية، وإذا ما قارنا بين هرم ماسلو Maslow's Hierarchy of Needs وبين منظومة مقاصد الشريعة للإمام الشاطبى نجد تشابه بين احتياجات ماسلو ومقاصد الشريعة الخمسة التى هى مقاصد العمران الإسلامى، بل تتفوق منظومة المقاصد لشموليتها، وتدرج مستوياتها وإحكام آلياتها التنفيذية وتوافق مرجعياتها.

ومن فقه مقاصد العمران اكتسبت الظاهرة العمرانية الإسلامية طبيعتها الوظيفية التى انعكست خصائصها وقيمها على مختلف مكوناتها ومخرجاتها ومظاهرها العمرانية والمعمارية، حيث ابتعدت وظيفة العمران الإسلامى عن الترف والسرف والإبهار والعبث والتجسيد والتصوير والغموض والظلم المكانى وإهدار الموارد والحقوق استجابة للأمر والنهى الإلهى والنبوى مثل قوله تعالى: "وكلوا وأشربوا ولاتسرفوا"،"أتبنون بكل ريع آية تعبثون" . واستطاعت من خلال استيعاب فقه المقاصد أن تحقق العدالة المكانية العمرانية بلا تدخل أو تحيز فلا تكاد تجد تمييزاً مكانيًّا طبقيّ داخل النسيج العمرانى للمدينة " وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده "، وحافظت على الموارد والثروات الطبيعية من الاستنزاف والتدمير والتعدى " والأرض وضعها للأنام "، وعلى حقوق الإنسان والأسرة بين أفراد المجتمع يقول الله تعالى " وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي

الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " (النساء،36). كما يعكس تنوع وتعدد عناصر وأنماط العمران داخل المدن الإسلامية من أسبلة وكتاتيب وبيمارستانات ووكالات ومدارس وخانقاوات، استيعاب فقه مقاصد العمران لمختلف احتياجات الإنسان/المجتمع الإسلامى وأنشطته العمرانية المتدرجة من مستوى توفير ضروريات العمران وهى التى تتوقف عليها حياة الناس بحيث لو فقدت اختلت الحياة، ثم تطوير حاجيات العمران التى يحتاج إليها الناس لرفع المشقة ودفع الحرج عنهم لترتقى بالحياة إلى مستوى التحسينات فى الطرز والأنماط والتكوينات العمرانية والمعمارية لتنشئ عمرانا يتوافق وأسلوب حياة الإنسان/المجتمع الإسلامى.

ومن جهة أخرى ساعد فقه المقاصد الطبيعة الوظيفية للظاهرة العمرانية الإسلامية فى استنباط مايبنى ومالايبنى من أنماط عمرانية ومعمارية، ولماذا يبنى وأين يبنى وتحديد أفضل أماكنها ومواضعها ومكوناتها الفراغية المعمارية داخل المدينة ، حيث قسم الفقهاء أحكام البنايات إلى أربعة أقسام رئيسية هي **البناء الواجب** (بناء المساجد لتقام فيها الصلوات، وبناء الحصون والأربطة للدفاع عن ديار المسلمين). **البناء المندوب** (بناء المنائر والتي تندب للأذان وبناء الأسواق، حيث يحتاج الناس للسلع. ولكي لا يتكلفوا عناء البحث عنها، فندب الشرع لذلك بناء الأسواق لكي يستقر بها أصحاب السلع، ويسهل للناس شراؤها منهم). **البناء المحظور** (بناء دور السكر ودور البغاء والبناء على المقابر وفي أرض الغير). **البناء المباح** (بناء المساكن التي تبنى بهدف الاستغلال، فمن المعروف أن الشريعة جاءت لحفظ المقاصد الخمس: الدين، النفس، المال، العرض والنسل، والله جعل أسباباً مادية يقوم بها البشر، كي يحققوا تلك المقاصد، ومن هذه الأسباب بناء المساكن والدور ليحفظ فيها الناس أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وتقوم فيها الأسر).

كما تحددت وفقا لفقة المقاصد قواعد تنظيم البيئة العمرانية ووظائفها من تحديد مواقع الأسواق وتنظيمها داخل المدينة " إذ إن لكل صنعة وسلعة سوقا يختص بهاوتعرف صناعتهم فيه، فحول المسجد كمركز دينى وثقافى يطالعك سوق الشموع والبخور والعطار وسوق الكتب والوراقين، يجاوره سوق الجلود وأساكفة ثم سوق البزازين ... وبالقرب من بوابات المدينة تجد دكاكين النجاريين والقفالين والنحاسين والحدادين " (جرونباوم،ص146–147). وتحددت العلاقة بين المناطق السكنية والصناعات من حديث "لاضرر ولا ضرار" بإزالة أسباب الضرر الواقع على المساكن من مصادر دخان أو رائحة أو ضوضاء (الهذلول،ص57–70). ويوضح الشكل رقم 38– توزيع الأسواق والصناعات حول القصبة التاريخية للقاهرة الفاطمية (المصدر: Ahmed Yousry Hala Mekawy, Transformations in Traditional Marketplaces in Fatimid Cairo, faculty of urban and regional planning, Cairo University, Egypt.).

شكل رقم 38– توزيع الأسواق والصناعات حول القصبة التاريخية للقاهرة الفاطمية

الاستنباط الثالث : من التنظير الفكرى إلى التطبيق العملى (نتائج وتوصيات البحث)

انطلاقا من البناء العلمى للبحث والذى شمل المقدمات الاستقرائية السابقة لتاريخ ومراحل ظاهرة العمران الإسلامى من رفع القواعد إلى اكتمال النموذج، ومن الاستقراء المقارن للنظرية المعمارية من منظور تاريخ الفكر والبيئة الغربية والنظرية المعمارية فى الفكر العمرانى الإسلامى ، وشمل المخرجات المستنبطة منها والتى احتوت موجهات العمران الإسلامى وتمثل وجدان النظرية العمرانية والمعمارية الإسلامية الذى صاغ عقلية البناء والمهندس والمعمارى والفنان المسلم وتشبعه واستيعابه لمقاصد الشريعة الإسلامية الأمر الذى ارتكز عليه الباحث فى صياغته "**مقاصد العمران**" كنظرية عمرانية معمارية إسلامية معاصرة. فقد خلص البحث بعد هذه المنطلقات العلمية البحثية إلى مجموعة من النتائج والتوصيات يمكن أن تشكل منطلقات بحثية مستقبلية :

- **استنتاجات البحث من الاستقراء إلى الاستنباط (نتائج البحث) :**

1– تمثل الحضارة الإسلامية أحد أهم مراحل الإنجاز الحضارى **Civilization Achievement** التى أثرت حركة الإنسان على الأرض، ويحتل العمران والعمارة الإسلامية وعائها المادى وأحد روافدها مكانة متميزة بين مختلف الأنماط العمرانية والمعمارية التى عرفتها الحضارة البشرية عبر الزمان والمكان.

2– العمران الإسلامى يمثل ظاهرة عمرانية غير مسبوقة ليس فقط بما قدمته من تكوينات عمرانية تخطيطية وتنويعات وتشكيلات معمارية متفردة ، ولكن وبقدر أهم ما قدمته تلك الظاهرة كنموذجا عمرانيا متكاملا عبر بصدق عن شخصية وخصائص المجتمع الإسلامى وغايات ومقاصد نموذجه الثقافى (عقيدة وشريعة وأخلاق) التى كانت وراء التجربة المادية الإبداعية.

3– يبدأ التاريخ العملى لظاهرة العمران الإسلامى من الهجرة النبوية إلى المدينة حتى وفاته (صلى الله عليه وسلم) وقيام أمة المدينة، حيث اقترن العصر النبوى بالبناء والعمران ورفع قواعد وأسس جديدة لعمران المدينة وعمارتها، ويعد الفكر النبوى العمرانى والمعمارى وأسلوبه (صلى الله عليه وسلم) وطريقته فى تصميم المسجد النبوى وتخطيط المدينة، غير مسبوقٍ فى الفكر العمرانى وأصبح نموذجا يحتذى به فى العصر الراشدى وعصور الخلافة الإسلامية .

4- كشف استقراء نشأة وتطور النظرية المعمارية الغربية عن أن الفكر المعمارى الغربى كان له اهتمام كبير فى تدوينات الرواد أو الآباء المؤسسين وشكل ركيزة للتطور بالنقد والتغيير أو التجديد أو النقض ، وهو بذلك لايقف عند حد ولا يرتبط مع الزمن بنظرية واحدة أو اتجاه واحد، فالحركة المعمارية التى ظهرت فى أوروبا وأمريكا تأثرت بالعديد من النظريات والاتجاهات الفكرية والفنية والسياسية والاجتماعية التى ظهرت فى أوقات متتالية ومتزامنة فى بيئات مترابطة متفاعلة ، كما يكشف عن دور المعماريين فى صياغة تلك النظريات فكريا وعمليا وتطبيقيا فى أعمالهم حتى أصبحت جزءا من التاريخ المعمارى المعاصر.

5- من تحليل النظرية العمرانية والمعمارية الغربية يتضح أنها لا تتضمن الجانب العقائدى أو الدينى فى تكوينها الفكرى. وأن الإنسان هو العنصر الغائب في النظرية المعمارية الغربية التى تعتمد على الإبداع الفردى دون مشاركة الجماعة أو المجتمع بكل مستوياته في الإنجاز العمرانى والمعمارى.

6- يضم البحث عن النظرية العمرانية والمعمارية من المنظور الاسلامى مجموعات متعددة ومتنوعة الرؤى التفسيرية والتنظيرية من المفكرين والمعماريين القدماء أو المعاصرين المسلمين والمستشرقين ، يتجه بعضهم إلى اتباع منهج المعماريين والمنظرين الغربيين ويحاول أن يوجد الشبه بين النظرية الغربية والإسلامية ويبعد كل القيم والمفاهيم الإسلامية عن منهج التحليل والبحث عن النظرية العمرانية والمعمارية الإسلامية.

7- ينكر بعض المستشرقين وجود نظرية للعمران الإسلامى أو وجود عمران إسلامى ويعتبره فوضوى ويتبعهم بعض المعماريين والمخططين المسلمين والعرب، والبعض الآخر يؤكد على وجود عمران إسلامى ولكنه يفسره من خلفياته الثقافية الغربية، وهنا مصدر الخطر والخلل الفكرى الذى تتعرض له النظرية العمرانية والمعمارية الإسلامية فالإسلام حضارة متكاملة ترسم حياة الفرد كما ترسم حياة المجتمع فى كل زمان ومكان وتشكل أسلوب حياته ومنظومة قيمه ووجدانه الفكرى والتطبيقى، ومن هنا لابد من الاستمرار فى البحث عن المدخل العقائدى لتحديد المنظور الإسلامى للنظرية المعمارية .

- **انطلاقات البحث من التنظير إلى التطبيق (توصيات البحث) :**

1- إن البحث عن نظرية عمرانية معمارية إسلامية معاصرة سواء كانت مستنبطة من التراث العمرانى والمعمارى والفنى للحضارة الإسلامية أو كانت مبتدعة من مرجعية فكرية أو فلسفية ما، لاتقع مسئوليته على عاتق المعماريين أو المخططين فقط بقدر ماتقع على عاتق المفكرين والأدباء والعلماء والمثقفين والفنانين العرب والمسلمين الذين يعبرون عن وجدان الإنسان/المجتمع الإسلامى المعاصر.

2- ومهما يكن الأمر فإن النظرية العمرانية والمعمارية الإسلامية التى نبحث عنها أو نقدمها ليست فلسفة فكرية مجردة ولكنها أساس يحتاج للتطبيق والقياس والتنظير. أى أن نظرية عمرانية أو معمارية فى كل الحالات يجب أن ترى طريقها إلى التطبيق والتقييم والتعديل والنقد وإعادة الصياغة ، وإلا فقدت النظرية مقوماتها الفكرية والتفسيرية وقدرتها على البقاء.

3- ضرورة مواجهة الغزو الثقافى الغربى على مختلف الأصعدة الحضارية بإعادة الاعتبار للغة العربية وإعادة اكتشاف التراث الثقافى والعلمى الإسلامى وتوظيفه لإعادة بناء النموذج العمرانى الإسلامى المعاصر.

4- البحث عن الذات كبديل للتبعية الثقافية والفكرية في العمارة والعمران والتأكيد على أهمية المرجعية الفكرية الإسلامية ودورها فى إحياء البيئة العمرانية التراثية وتكوين وتشكيل العمران الإسلامى المعاصر .

5- الاهتمام بحرية الفكر والتعبير والإبداع العمرانى والمعمارى والفنى في إطار القيم الإسلامية ومن خلال الموروثات العمرانية والمفردات المعمارية، والتخفيف من تأثيرات القوانين والتشريعات العمرانية الحالية على الحد من وتعطيل وتقييد حرية الإبداع والتعبير وتقديم بيئة عمرانية ومعمارية لاتعكس قيم المجتمع الإسلامى.

6- التأكيد على أن عملية العمران والعمارة الإسلامية هى منتج اجتماعى أكثر منه إنجاز فردى ؛ وذلك بإعادة الاعتبار للمشاركة المجتمعية وتمكين المجتمع من حيازة الأرض ومواد وطرق البناء والتدريج فى تكوين التنمية من المحليات والمعماريين والمجتمع.

7- تكثيف الدراسات والأبحاث الفردية والجماعية حول الظاهرة العمرانية والمعمارية الإسلامية وتقديم تفسيرات ورؤى فكرية وتنظيرية حول تنوعها العمرانى والمعمارى وكشف أسرارها الجمالية والوظيفية. عبر إنشاء وحدات علمية وبحثية توثيقية وتحليلية بالجامعات العربية والإسلامية وهنا يظهر دور رابطة الجامعات الإسلامية فى إنشاء هذه الوحدة الدراسية العلمية لتكوين وبناء نموذج العمران الإسلامى القديم والمعاصر.

مرجعيات الاستقراء والاستنباط (مراجع البحث) :

- القرآن الكريم وكتب الحديث (صحيح البخارى، صحيح مسلم، مسند الإمام أحمد)
- أبى إسحاق الشاطبى؛ إبراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى المالكى، الموافقات فى أصول الشريعة، شرحه فضيلة الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن خلدون، مقدمة العلامة بن خلدون، 1991م، ، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان.
- د. إدهام محمد حنش، بحث نظرية الفن الإسلامى عند المفكر إسماعيل الفاروقى، 2011، مؤتمر " إسماعيل الفاروقى وإسهاماته فى الإصلاح الفكرى الإسلامى المعاصر، جامعة اليرموك والمعهد العالمى للفكر الإسلامى وجامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن.
- د. إسماعيل راجى الفاروقى ود. لوس لمياء الفاروقى- ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، أطلس الحضارة الإسلامية، 1998م، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض.
- د. جمال حمدان، العالم الإسلامى المعاصر، 1990م، عالم الكتب، القاهرة
- د. جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض فى الإسلام، 1992م، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.
- د. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، 1987م، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة
- خالد محمد عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة (عدد 58) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر.
- د. سلامة أحمد على، مناهج العمران الإقليمى فى المجتمع الإسلامى رؤية مرجعية لمنهج عمرانى لإقليم مجتمع إسلامى معاصر، 2001م، رسالة دكتوراة غير منشورة (كتاب تحت الإعداد)، جامعة القاهرة كلية التخطيط اللاإقليمى والعمرانى، القاهرة
- د. صالح بن على الهذلول، المدينة العربية الإسلامية أثر التشريع فى تكوين البيئة العمرانية، 1994م، توزيع ص. ب. : 88952، الرياض 11672، المملكة العربية السعودية.
- د.عبد الباقى إبراهيم، المنظور الإسلامى للنظرية المعمارية، 1986م، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة
- د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الكعكى، النسيج العمرانى للمدينة المنورة الخصائص والمقومات، 2007م، اللجنة التنفيذية لتطوير المنطقة المركزية فى المدينة المنورة، المدينة المنورة.
- على محمد الصلابى، عصر الدولتين الأموية والعباسية، 1998م، دار البيارق، الأردن.

– د. فريد محمود شافعى، العمارة العربية الإسلامية ،1982م، جامعة الملك سعود، الرياض
– كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل، ترجمة د.أحمد مستجير،1996م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
– د. محمد السيد الحسينى، " المدينة " دراسة في الاجتماع الحضرى، 1980م، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة .
– د. منذر الأعظمى و د. كامل مهادين، قضايا حول المدينة العربية المعاصرة، 1994م، مجلة البيت المفتوح ، المجلد الأول– العدد الأول، The Urban International Press,Newcastle Upon Tyne, UK.
– د. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، 1988م، عالم المعرفة (عدد 128)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

- Ahmed Yousry Hala Mekawy, Transformations in Traditional Marketplaces in Fatimid Cairo, faculty of urban and regional planning, Cairo University, Egypt.
- Amos Rapoport, House Form and Culture, 1996, Printice Hall Englewood Clifts, N.J., U.S.A.
- Dr. Salama Ali & Dr. Essam Gouda, Fatimid Cairo: a Sustainable Neighborhood from Medieval Times, research puplished in THE WORLD SUSTAINABLE BUILDING 2014 Conference SB14, organized by Green Building Council Espana (GBCe), OCTOBER 2014, BARCELONA, SPAIN.
- Vitruvius, THE TEN BOOKS ON ARCHITECTURE, Translated by Morris Hicky Morgan, 1960, first published, Dover Publications INC., NEW YORK.
- Von Grunebaum, G.E., " The Structure of the Muslim Town ", Islam:Essays in the Nature and Growth of Cultural Tradition, London: R.&K. Paul Ltd., 1969.